واعتصم بالشرع في الكشف فقد ... فاز بالخير عبيد قد عصم ... اهمل الفكر فلا تحفل به ... واتركنه مثل لحم في وضم ... إن للفكر مقاما فاعتضد ... به فيه تك شخصا قد رحم ... كل علم يشهد الشرع له ... هو علم فيه فلتعتصم ... وإذا خالفه العقل فقل ... طورك الزم مالكم فيه قدم ... .

ويؤيد هذا ما روى عن الشافعي رضي ا تعالى عنه أنه قال إن للعقل حدا ينتهي إليه كما أن للبصر حدا ينتهي إليه وقال الإمام الغزالي ولا تستبعد أيها المعتكف في عالم العقل أن يكون وراء العقل طور آخر يظهر فيه ما لا يظهر في العقل كما لا تستبعد أن يكون العقل طورا وراء التمييز والإحساس ينكشف فيه عوالم وعجائب يقصر عنها الإحساس والتمييز إلى آخر ما قال ففيما نحن فيه في القرآن والسنة المتواترة ما لا يحصى مما يدل على الخلود في النار وفي العذاب دلالة واضحة لا خفاء فيها فتأويلها كلها بمجرد شبه أضعف من حبال القمر والعدول عنها إلى القول بنفي العذاب أو الخلود فيه مما لا ينبغي لا سيما في مثل هذه الأوقات التي فيها الناس كما ترى على أن هذه التأويلات في غاية السخافة إذ كيف يتصور حقيقة الدعاء من رب الأرض والسماء أم كيف يكون التعليق بعد النظر في قوله تعالى إن ا لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء أم كيف يقبل أن يكون الإخبار عن الإستحقاق دون الوقوع على ما فيه في مثل قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها سبحانك هذا بهتان عظيم وأما ما ينقل عن بعض السلف الصالح وكذا عن حضرة مولانا الشيخ الأكبر ومن حذا حذوه من السادة الصوفية رضي ا تعالى عنهم من القول بعدم الخلود فذلك مبني على مشرب آخر وتجل لم ينكشف لنا والكثير منهم قد بنى كلامه على اصطلاحات ورموز وإشارات قد حال بيننا وبين فهمها العوائق الدنيوية والعلائق النفسانية ولعل قول من قال بعدم الخلود ممن لم يسلك مسلك أهل السلوك مبني على عدم خلود طائفة من أهل النار وهم العصاة بما دون الكفر وإن وقع إطلاق الكفر عليهم حمل على معنى آخر كما حمل على رأي في قوله صلى ا تعالى عليه وسلم من ترك الصلاة فقد كفر على أن الشيخ قدس سره كم وكم صرح في كتبه بالخلود فقال في عقيدته الصغرى أول الفتوحات والتأبيد لأهل النار في النار حق وفي الباب الرابع والستين في بحث ذبح الموت ونداء المنادي يا أهل النار خلود ولا خروج ما نصه ويغتم أهل النار أشد الغم لذلك ثم تغلق أبواب النار غلقا لا فتح بعده وتنطبق النار على أهلها ويدخل بعضهم في بعض ليعظم انضغاطهم فيها ويرجع أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها ويرى الناس والجن فيها مثل قطع اللحم في القدر التي تحتها النار

العظيمة تغلي كغلي الحميم فتدور في الخلق علوا وسفلا كلما خبت زدناهم سعيرا وذكر الشيخ عبدالكريم الجيلي في كتابه المسمى بالإنسان الكبير وفي شرح لباب الأسرار من الفتوحات أن مراد القوم بأن أهل النار يخرجون منها هم عصاة الموحدين لا الكفار وقال إياك أن تحمل كلام الشيخ محي الدين أو غيره من الصوفية في قولهم بانتهاء مدة أهل النار من العصاة على الكفار فإن ذلك كذب وخطأ وإذا احتمل الكلام وجها صحيحا وجب المصير إليه انتهى نعم قال قدس سره في تفسير الفاتحة من الفتوحات فإذا وقع الجدار وانهدم الصور وامتزجت الأنهار والتقى البحران وعدم البرزخ صار العذاب نعيما وجهنم جنة ولا عذاب ولا عقاب إلا نعيم وأمان بمشاهدة العيان الخ وهذا وأمثاله محمول على معنى